في طريق علم اللغة الحديث عند الغربيين : رواد ومبادىء

بقلم الدكتور/ توفيق محمد شاهين

تقدمت أبحاث علم اللغة في العصر الحديث تقدما هائلا في الغرب، بفضل ما أتيح لعلمائه من دفع قوي : مادي وأدبي، وتمكين للبحث والتفرغ، ونظرة التقدير والاعتبار للعاملين في حقل اللسانيات أو اللغويات. بينما بعض الكتاب عندنا ينظر إليه على أنه عمل ثانويّ، إن لم يصرح بتفاهته والسخرية منه ومن الاشتغال به.. والمثل يقول : من جهل شيئا عاداه .

وقد خطت جامعات مصر وتبعها الأزهر خطوات كثيرة في هذا الميدان ، وكان مبعوثوها إلى الغرب الرائد في هذا المجال ـــ ممن تصدروا التوجيه روادا على طريق الألسنية ـــ أثبتوا وجودهم ونفعوا بأبحاثهم ، برغم وهن الدفع ، وندرة الوسائل .. وإنا لنرجو مزيدا من الرعاية والعناية في بلادنا الاسلامية والعربية ، مجاراة لركب التقدم ، واسهاما في المنهجية والرقي .

وقد هالني في كندا كمبعوث اسلامي تحتمت عليه دراسة وتعلم اللغة الانجليزية كلسان تخاطب رسمي هناك ولغة رسمية للبلاد كلها .. هالني العناية الفائقة في الاستفادة الزكية من أبحاث علم اللغة في تعليم اللغات بعامة ـــ حتى العربية في معاهدها وكنائسها وجامعاتها :

فهم ـــ مثلا ـــ يتعلمون اللغات بواسطة آلات حديثة ، ووسائل سمعية وبصرية وأسس نفسية ، ويلمون بالفونيم ، والنبر ، والعناية بمخارج الحروف ووظائف أعضاء الكلام ، وجودة النطق والتفرقة بين الأصوات ، وملاحظة نطق المتشابهات حتى لا يلتبس حرف بآخر ، ولا يضيع المعنى في متاهات المبنى عند عدم النطق السليم .

ولقد عرّف علماؤنا الأقدمون ـــ رضوان الله عليهم ـــ ذلك أو بعض ذلك بدءا بالعلامة الخليل ابن أحمد ، ومرورا بالعظيم ابن فارس ، والفارسي ، وابن جني وغيرهم ـــ رحمهم الله تعالى ـــ من عباقرة العرب والمسلمين ـــ ولكن العلم شيء وتطبيق نظرياتهم ـــ الذي لا تراعيه شيء آخر .. فضلا عن أن تحت الشمس جديد في كل يوم :

لقد عرّف ابن جني اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ...

والشيخ عبد الله العلايلي يرى أن ذلك كان في الدور النشوئي للغة ، لكنها اليوم أصبحت جزءا من التفكير .

والدكتور أنيس يقول : إنها : اللغة — اكتسبت مع الزمن صفة أسمى وأرقى من مجرد الرمزية ، لاتصالها بالخواطر والأفكار ، فأصبحت جزءا منها .

ويمثل هذه النظرة يراها العالم (ميبه) كائنا مثاليا ، لا سبيل إلى إدراكه مباشرة ، لأننا نلاحظ فقط مظاهرها الخارجية كمظهر لوجودها ، وسبل انتقائها وطرق انتقالها ، والبقاء في إطارها .

ولا يخرج عن ذلك نظرة (جفونز) بأنها وسيلة توصيل ، وأداة تسجيل ، .. ومساعد آلي للتفكير .

ويزيد الأمر ايضاحا ، ويبين الارتباط الوثيق بين هذه الأجزاء المستشرق (دوسوسور) بأن الظاهرة اللغوية لها وجهان متقابلان دائما، يوضح بعضها البعض :

فللمقطع النطقي تأثير صوتي طبيعي تستقبله الأذن لكنه مرتبط بأعضاء النطق وبدون معرفتها لا نعرف كثيرا عن الظاهرة اللغوية على الصعيد الفردي أو الاجتماعي لأنها مادية ، وعضوية ، ونفسية ، تعيش في مجال اجتماعي كنتاج إجماعي .

واللغة وإن بدت ثابتة كنظام إلا أنها حركة متطورة ، وبناء حاضر ونتيجة لماض ، وارتباطها في كل ذلك وثيق .

*****

وتعددت مناهج « علم اللغة » ، في :

أ) منهج الملاحظة والاستقراء ، بمعنى مراقبة ظروفها الطبيعية حين تؤدي وظائفها .

ب) والمنهج الآلي ، حين الاستعانة بالوسائل « التكنولوجية »(*) في مجال الصوتيات تسجيلا وقياسا كعنصر (فيزيائي) في معرفة اللغة ، وتبع ذلك التصوير الشعاعي عند (رونتجن) ، لتسجيل ورصد حركات الأعضاء النطقية حين استعمال اللغة .

جـ) والمنهج التجريبي ، بمعنى تغيير الظروف العادية المحيطة بظاهرة لغوية ما ، أو العمل على خلقها للتمكن من دراستها .. بعد هذه الافتراضات المصنوعة ، على غرار ما بحث الأستاذ (فيرث) وقد علق الدكتور تمام حسان في كتابه : « مناهج البحث في اللغة » بأن هذا الصنيع أثار شك العلماء اللغويين في هذا المنهج ، لأنه خرج باللغة عن طبيعتها إلى إطار العلوم الطبيعية .

ويمكن التنظير لهذه التجربة ، بما حكي عندنا عن المسألة « الزنبورية » وافتراضاتها .

د) والمنهج المقارن ، الذي قام على الموازنة بين ظواهر اللغة في طائفة من الألسن لمحاولة بيان أواصر القربى بينها ، وقد اعتنى بذلك علم اللغة العام ، وعلم اللغة المقارن .

وقد أفاد هذا المنهج وأدى أحسن النتائج في حقل الدراسات اللغوية .

هذه المناهج ازدهرت ونمت ، وكان لها قيمتها في الأبحاث اللغوية ، وتفرعت كما نرى ، بعد أن كانت تدور في فلكين فقط ، هما : المنهج الوصفي ، والمنهج التاريخي .

*****

(*) يستحسن استعمال كلمة (التقنية) أو ... الاستعانة بالتقنيات.

واللغة كما نعلم ، أساس جميع العلوم الانسانية ، وأهم الظواهر الاجتماعية ذات العلاقات الوثيقة بما في الكون كله .. لذلك تحم على علم اللغة دراسة اللغة بصورة عامة ، من بدء التاريخ حتى العصر الحاضر الذي نعيشه .

وأصبحت من علوم اللغة الحديثة ، نتيجة لذلك :

1) **علم اللغة النظري** ، أو العام ، ويندرج تحته :

أ) علم الأصوات (النطقي) و (السمعي) ..

ب) وعلم اللغة التاريخي ..

جـ) وعلم الدلالة ..

د) وعلم القواعد ، في المعرفة بالصرف والنحو ..

2) **علم اللغة التطبيقي ، ويشمل :**

أ) علم التقابل اللغوي ، وتحليل الأخطاء .

ب) علم اللغة النفسي .

جـ) علم اللغة الاجتماعي ..

د) علم اللغة الآلي ..

هـ) صناعة المعاجم ..

و) الترجمة

ز) وتعليم اللغات ، في (طرق التدريس) وتصميم اختبارات اللغة .

ومن العلماء من يرى اضافة شعبة ثالثة إلى هاتين الشعبتين (علم اللغة العام) و (علم اللغة التطبيقي) .. هي شعبة (علم الأصوات) ، بمعنى جعلها رئيسية مستقلة ، وغير تابعة أو مندمجة في أخرى .

ومن الانصاف للتاريخ العلمي اللغوي أن نذكر أن العلوم اللغوية في الغرب قد مرت بثلاث مراحل : من دراسة النحو ، إلى (الفيلولوجيا) أو فقه اللغة إلى الفيلولوجيا المقارنة وتمخض عن ذلك :

1) علم اللغة الصوتي ، للعناية بالصوتيات و (الفونيمات) وهي أكثر فروع اللغة موضوعية .

2) وعلم اللغة التاريخي ، لدراسة ماضي اللغة ، للافادة والاستفادة بحاضرها وفي مستقبلها .

3) وعلم اللغة الجغرافي ، لمعرفة تنوع اللغات ، وأماكنها ، وتعايشها ، وتأثير بعضها في بعض احتكاكا وأصلا وفرعا وتوليدا ، ولهجات ..

ويلاحظ : أن كثرة من علماء اللغات في الغرب أهملوا الاشادة بجهود علمائنا العرب والمسلمين في هذا الصدد .. وهم في الحقيقة رواد وسباقون .. والانصاف العلمي يقتضي الاشادة بعلمهم ، بدلا من سحب ذيل الجحود أو النسيان على عبقريتهم وآثارهم الثابتة الخالدة والأصيلة في هذا الجانب ، الذي يذكره بعض المنصفين فقط من علمائهم . مثل المستشرق الألماني (أ – شاده) — على ما ذكر الدكتور عبد الصبور شاهين في كتابه علم اللغة العام :

(فعلماء العرب ، كما يرى المستشرق (شاده)، أسهموا إيجابيا في بناء الحضارة الانسانية ، وفضلهم في ذلك مذكور غير منكور . كما أنهم قدموا الروائع في الدراسات اللغوية ، بما لم يسبقوا — في ذلك ممن سبقهم — في الدراسات اللغوية : نحوا وصرفا ومعاجم لغوية . وقام المستشرق (شاده) بعمل بحث عن الأصوات اللغوية عند سيبويه وعند الغرب ، وانتهى فيه إلى أنه من الصعب إضافة أي تعديل على ما قدم سيبويه من تحديدات علمية ، والظواهر الصوتية ، اللهم إلا فيما عدا الحنجرة التي لم يعرف العرب — على وجه

الدقة ـــ وظيفتها الصوتية ، فألحقوها كجزء من الحلق) .أ .هـ .

والحق أن العرب أسهموا في هذا الجانب بجهد خلاق ، ووضعوا أبجدية صوتية للغة العربية ، حسب المخارج ، وعلى طول المدرج الصوتي ، كما بينوا مخارجها وتصنيفها وتوظيفها وأنواعها ، وحدود تمييزها ، باجتهاد عقلي وذوقي ، بدءا بسيبويه ومرورا بابن جني وابن فارس ، وغيرهم ..

وقد ذكرت الشيء الكثير في كتاباتي عن ابن القيم لغويا ، في حوالي خمسة عشر مقالا طويلا في مجلة (البعث الاسلامي) الهندية بعضها ما زال ينتظر الطبع .. أظن أن فيها ما يشرف من عالم لغوي بعد شهرته كإمام في العلوم الدينية .

وتهللت للدراسة القيمة عن الصوتيات عند ابن جني ، التي قام بها الأستاذ الدكتور محمد حسن باكلا بجامعة الرياض بالسعودية ، ونال بها درجة الدكتوراه في (اللسانيات) في انجلترا باللغة الانجليزية ، وقد تفضل مشكورا بإهدائي نسخة منها .. فجزاه الله الخير لرفع ذكر علمائنا العرب ، وقد كتبت عنه وعنها في مجلة « البعث الاسلامي » الهندية [1] مشيدا ومحللا في خطوط عريضة وشاكرا ..

وساءتني كتابات عن اللغويات من علمائنا العرب ـــ نسبوا فيها كل شيء للغرب ـــ ولم يشر إلى جهود علمائنا القدامى بخير أو بشر. وكأنما نحن العرب صفرا في هذا الجانب، وأشرت الى ذلك في نفس المجلة السابقة.

وحييت في نفس المقال [2] الاستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، على كتاباته في اللغويات والاشادة بذكر علمائنا العرب في كل مناسبة وما أكثر المناسبات التي تحدث عنها .

وكانت كتاباتي عن العالم ابن قيم الجوزية اسهاما متواضعا مني في هذا الجانب فإذا سكت بعض الكتاب من هنا أو هناك عن عمد أو جهل .. فواجبنا أن نكتب ونقول ، ونشرح للدنيا لعلمية الجوانب المضيئة لنا ولعلمائنا ..

وليس هذا اجترار لفخر جنسي أو عرقي أو نزوع طائفي نقوم به ، حاشا لله أن نكون كذلك ، وليس معنى هذا بالتالي (التقوقع) على أنفسنا ، حاشا لله ثانية ، فعلينا النظر في كل جديد والاستفادة من كل حديث مبتكر ومكتشف .

فلا نريد أن نتأخر عن الركب الثقافي والحضاري ، ولا نريد أن ندور حول أنفسنا ولا أن يظلمنا ويغمطنا انسان حاقد أو جاهل أو متجاهل .

وإنما نريد أن ننفتح على العالم ، لنسهم إيجابيا في إعلاء صرح حضارته الانسانية ، بجهد ، وبعزّة ، وهمّة .

ولا نريد بالتالي أن يجهل أبناؤنا وأحفادنا تاريخنا السامق وأمجادنا التليدة ، علّها تثير شاكلة انتباه من أذكياء نبهاء ، يقومون بأعمال بناءة وخلاقة ونافعة للعلم والانسانية كما صنع أجدادهم من قبل ، فكانوا سببا في نهضة أوروبا ورقي العالمين : العربي والشرقي على السواء .

ولسنا وحدنا الذين نسطر ذلك ، فالغيورون في مجموعهم الذين يرون أننا كنا أصحاب مجد وتقدم في دراسة الجوانب اللغوية ، وأن علماءنا القدامى أدوا في عبقرية واجبهم الثقافي ابتغاء وجه الله ، وخدمة لوعاء الوحي .. وأن عملهم كان من الدقة والعظمة بما يشهد به الأعداء والأصدقاء على

(1) عدد / 1 مجلد / 28 رمضان سنة 1403 هـ.
(2) المصدر السابق.

السواء ، وإنه كان من القوة بما لا يمكن إخفاؤه وإهالة التراب عليه مهما حاول بعضهم ذلك ..

وإننا بالتالي بحاجة إلى وَصْل ما انقطع ، ومتابعة ما جد ، والنظر في الجديد وليس من توارد الخواطر ـــ أخيرا ـــ ما قرأته قبل الفراغ من هذا البحث في مقدمة كتاب جيد في موضوعه وإخراجه بعنوان : (معجم مصطلحات علم اللغة الحديث) لنخبة من علمائنا اللغويين العرب ، ومراجعة نخبة ناهضة منهم .. جاء في مقدمته : (كان للعرب دور كبير مشهود في تطور الدراسات اللغوية على أسس علمية منذ القرن الأول الهجري . فقد ساهم رواد البحث اللغوي بدءا بأبي الأسود الدؤلي ومرورا بالخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه وأبي الفتح عثمان بن جني وغيرهم ممن ساهموا ليس في خدمة اللغة العربية فحسب بل وفي تطوير البحث اللغوي ككل حيث أتوا بنظريات دقيقة ودراسات وصفية ، بدأ علماء الغرب في اكتشاف بعضها بعد العلماء العرب المسلمين بأكثر من عشرة قرون .

ومن الملاحظ أن الدراسات اللغوية العربية منذ العصور المتأخرة قد انحسر فيها عنصر الابداع والتجديد . فأصبح كثير من علمائنا يجترون ما أتى به الرواد الأوائل ويرددون ما قالوا دون إضافة تذكر . هذا في الوقت الذي لمسنا فيه التطور العلمي السريع الذي يطرأ على الدراسات اللغوية في الغرب . تلك الدراسات لم تأل جهدا في الاستفادة من كل معطيات التقنية الحديثة من أشعة سينية ومراسم مطياف وحاسبات آلية ومختبرات لغوية وصوتية) .

وقد ولدت هذه الملاحظة لدى بعض المختصين في الدراسات اللغوية الحديثة إحساسا بالضرورة الماسة إلى تطوير هذه الدراسات في الوطن العربي . ومن وسائل هذا التطور إيصال ما استجد في هذا الحقل من بحوث ودراسات في العالم الغربي : وذلك عن طريق التعريب والتأليف .

ولا يعيبنا أن نأخذ العلم عن سوانا مهما كان شأنه ، نستفيد من الصديق والعدو إلى مبتكرات العلم في أقاصي الأرض . أو لم يأخذ الغرب منا علومه وفلسفته حينما هم بالنهوض ؟ هم أنفسهم قالوا ان حضارتهم الحديثة مدينة للعرب .

اسمعوا أقوال عظمائهم :

.. قال جورج سارتون مؤلف « تاريخ العالم » « كان العرب أعظم معلمين في العالم زادوا على العلوم التي نقلوها عن غيرهم ، ولولا عملهم لتأخر سير المدنية قرونا عديدة » ..

وقال نيكلسون : « ما المكتشفات اليوم بمحسوبة شيئا مذكورا إزاء ما نحن مدينون به للعرب الرواد الذين كانوا مشعلا وضاء إبان القرون الوسطى المظلمة في أوروبا » ..

وقال أكثر مؤرخي العلم من الأجانب : « إن الحضارة الانسانية مدينة للعلماء العرب في كل فرع من فروع المعرفة ، وإنه كان لا بد من ظهور ابن الهيثم والبيروني والكندي وأمثالهم لكي يتسنى ظهور جاليلو وكيلر وكوبرنيق . وأنه لولا أعمال العرب لاضطر علماء النهضة الأوربية للبدء من حيث بدأ هؤلاء ، ولتأخر سير المدنية عدة قرون » ..

وقال د. عبد الحليم منتصر رئيس اتحاد الجمعيات العلمية في العالم العربي ، تعليقا على ذلك : أذكر أنني شاهدت في سقف مكتبة الكونجرس الأمريكية منقوشا بماء الذهب : « إن مصر هي الينبوع الأول للحضارات جميعا ، وأن العصر العربي الاسلامي هو الينبوع الأول للعلوم الطبيعية » .. فشعرت بالزهو أن أكون سليل هاتين الحضارتين ووريث هاتين الثقافتين .

*
* *

وإنصافا للحقيقة والتاريخ ، وإشادة بالعلم

أينما كان مصدره ، وبالعلماء كيفما كانت انتماءاتهم وأجناسهم .

وفي خطوط عريضة يهمنا أن نضع جهود المحدثين من علماء اللغة الغربيين ، في سماتها العامة، ومبادئها الرئيسية ، بدون التعرض لتفسير آرائهم أو مناقشتها ، مراعاة للحال والمقام والمقال .

ونذكر بالتالي نقاطا ــ في إيجاز موجز ــ عن حياتهم ونشأتهم وبيئاتهم ، والمجالات التي بحثوها وتناولوها بالبحث والتحليل .. في نقط تشير ولا تفصل ، وتجمل ولا تناقش لآراء كثيرة ومفيدة في الحقل اللغوي ، وأحدث النظريات الألسنية للافادة والاستفادة في دراسة وتدريس اللغات :

فكل محاولتنا في هذا البحث :

إدخال القارىء أو الطالب أو المتعلم أو المعلم إلى صميم المنهجية اللسانية المعاصرة ومسائلها ، بعرض إجمالي لمبادئها ومصطلحاتها ، وجهود روادها الذين أسدوا جميلا إلى العلم والعلماء بأبحاثهم المتكاملة أو المكمّلة أو المتتابعة ، دفعا للقراءة في (اللغويات) بعدئذ في تكوين ثقافي لغوي ، علها تقود إلى تعامل سليم وبناء بعدئذ في تكوين المجال العقلي الذي تحركه اللغة ، أو مجال اللغة التي توجه المسار العقلي في دنيا الحياة والأحياء .

فلما كانت اللغة ميزة الانسان الخاصة .. لفتت انتباه المفكرين والعلماء في القديم والحديث على السواء ، بحثا ، وتحليلا ، على معرفة جوانب منها ، من علماء كثيرين وفي مواد مختلفة ، تتصل بعلوم اللغة وطبيعتها في زواياها المختلفة ، وبيئاتها المتعددة ، وأشكالها وألوانها الكثيرة ، وشعبها المعروفة :

• فقارنوا بين خصائص لغة الانسان ، ولغة الحيوان التي يتفاهم بها ، للابقاء على معاشه وحياته ، وضروراته ، فإذا أمكن للطفل اكتساب لغة بيئته التي ينشأ بها .... كذلك فإن الحيوان يستعمل تنظيما اتصاليا على قدر كبير من الدقة ، من أصوات هادفة إلى إيصال لغة معينة ، لا يمكن إطلاقا مقارنتها ــ للآن على الأقل ــ بأية لغة انسانية لأنها نتيجة طارئة لسلوك غير الانسان ، مع تنوعها ، ووفائها بالغرض في شؤونه وحياته ومهما كان الانسان متخلفا في كوخ أو غابة ، فهو ــ لغويا ــ أفضل بكثير من أرقى أنواع الحيوان ، وأذكى الطيور ، والحشرات ...

ودرسوا لغة القرد أو الشمبانزي ، والدلفين ، والأسماك ، والنحل ، والنمل ... إلخ ، وكان من دراستهم المتأنية والمضنية أن خصائص أصواتهم لا تظهر أية سمة من سمات اللغة الانسانية .

لأن الاتصال التنظيمي عند الحيوان مغلق ، وبسيط ، ويرتبط بأبعاد غير لغوية وانفعالي ، ومن أدنى مستويات التعبير .

وحتى محاولات التعليم للحيوان ، برغم كونها سارت مركزة وفي عناية لم تسفر إلا عن فهم لبعض المفردات لا تزيد عن المائة لفظة ، والاستجابة لمعطيات هذه الألفاظ : بمهارة أحيانا ... وصدق الله العظيم حين يقول : ﴿ الرحمن ، علم القرآن ، خلق الانسان ، علمه البيان ﴾ ..

ولذا كانت خصائص اللغة الانسانية : الابداعية ، والازدواجية في التعليم ، والتحول اللغوي ، والانتقال التقليدي ...

وكلها اصطلاحات تتطلب معرفة بالتفسير والشروح ، ومكانها في مظانها من كتب اللغة واللسانيات . لمعرفة مظاهر اللغة ــ أي لغة ــ حين دراستها، كواقع قائم بذاته من حيث أنها بنية ، ووسيلة تفاهم ، كما يقول (فرديناند دي سوسور) . مع ملاحظة عمل المتكلم والمستمع في

الشكل المنطوق والمسموع ، وتحليل العوامل من : انسان مرسل وآخر مستقبل ، وإقامة اتصال بينهما ، ولغة مشتركة يتفاهمانها ، ورسالة لغوية فيها محتوى ، يراد تفهيمه أو إفهامه ..

• وفي الدراسة الألسنية الكمية أو الاحصائية ، والتي يمكن الافادة منها في حقل تعليم اللغات ، أظهرت الاحصائيات التي قام بها الباحثون ـــ في هذا المجال ـــ على لغات مختلفة تشابه النتائج التي توصلوا إليها احصائيا على النحو التالي :ـــ

1) تكوّن الـ 15 كلمة الأكثر استعمالا في اللغة 25% من كلمات النص كله .

2) تكون الـ 66 كلمة الأكثر استعمالا في اللغة 50% من كلمات النص كله .

3) تكون الـ 100 كلمة الأكثر استعمالا في اللغة 60% من كلمات النص كله .

4) تكون الـ 320 كلمة الأكثر استعمالا في اللغة 72% من كلمات النص كله .

5) تكون ال 1000 كلمة الأكثر استعمالا في اللغة 85% من كلمات النص كله.

6) تكون ال 4000 كلمة الأكثر استعمالا في اللغة 97,5% من كلمات النص كله.

فالألف كلمة على سبيل المثال تشتمل على 85% من كلمات النص وتوضحه ، ومنها نفهم كثيرا عن مفهومه ، ومحتواه بالتالي من نصه الدلالي .. ومن هنا يمكن فهم ما كتبته ضمن هذه الأبحاث عن لغة (الاسبرانتو) في امكانياتها البسيطة في مفرداتها ، وفي قواعدها بالتالي ، وكيف أنها ممكنة علما وعملا .. ويمكننا بدراسة احصائية وتخطيطية أن نقوم بدراسة وصنع كتبنا التعليمية بالذات في ضوء هذه الدراسات .

• واللغة نشاط مصدره المخ الانساني ، فهي نشاط عقلي .. وقام الغربيون بدراسات متنوعة على العقل البشري منهج تكنولوجي ، فحددوا مناطق الكلام في الدماغ ، وعلاقة ذلك بالأبحاث التي جرت إلى الأعصاب وأثرها وتأثيرها صحة ومرضا ، وأثر ذلك لغويا كما صنع اللغوي (جاكبسون) قبل سنة 1956 م .

ويمكننا معالجة المعاقين والمتخلفين عقليا ، واعطائهم الجرعات اللغوية المناسبة عند تعليمهم والأخذ بيدهم . فضلا عن الطوارىء التي تصيب السليم في هذه المناطق فقد لاحظ (جاكبسون) أن المريض يحافظ أحيانا على القدرة على تمييز (الفونامات) بينما يفقد في نفس الوقت القدرة على إدراك معاني الكلمات .

فما نعطيه من معلومات للمرضى والمعوقين ، يجب أن يكون مختلفا عن غيره مما يأخذه الأصحاء .

• واللغة نشاط عقلي ، ولكن تختلف محاولة الضبط عند علماء اللغة عند بحث هذا المبدأ بين السلوكية عند (البنيانيين) من جهة ، بينما يميل (التوليديون) إلى المبدأ العقلاني لا السلوكي .

ومعنى المبدأ السلوكي : ان المتكلم تحصل عنده الاستجابة الكلامية حين الحافز البيئي ، فيشعر بشعور معين ، فيتكلم ويعبر ، ويتصرف ، بدون تدخل الأفكار أو القواعد النحوية ، ومحاولة التفكير فيها ، ثم التكلم . وهذا يشبه إلى حد كبير سلوك الحيوان ونزوعه عند الشعور والاستجابة لدافع وحافز الحاجة ..

بينما المبدأ العقلاني يرى وجود حقيقة عقلية تكمن ضمن السلوك الفعلي، فلا بد من معرفة مسبقة كامنة في العقل بالقواعد اللغوية ، تتم الاستجابة بواسطته لا تلقائيا ، إذ يدفعها الفكر ،

ويلاحظ العقل تنظيمها وإصدارها .

• وإذا أجريت التجارب على الحيوانات للتوصل إلى أبحاث لغوية ، فإن ملاحظة لغة الطفل ورصدها في تدرجها أولى وأجدر ، فقد اهتدى بدراسة لغته في معرفة نشأة اللغة الأولى ، كنظرية نادى بها أصحابها ، كما أن له حقه في أن يتدرج في تناول المعلومات التي تعطى له كمتعلم ، وبذلك نكون قد أنصفنا في أطوار حياته العلمية على أسس منهجية .

وقد تم تفهم التطور اللغوي للطفل عبر نشاطاته اللغوية عند علماء الغرب ، بملاحظة مظاهر التطور اللغوي في مجالات متعددة، منها :

أ) الفونولوجيا ، في صراخه في الشهور الأولى من حياته ، وثغثغته في العشرة شهور الأولى له ، ونطقه لبعض الأصوات اللغوية ـــ بعد ذلك ـــ حين يفهم عليه هذه الأصوات من حوله ، وتشتد أجزاء جهازه النطقي .

ب) وفي تزايد حصيلة مفرداته اللغوية في نهاية السنة الأولى من عمره ، تبدأ بطيئة ثم تتزايد بكثرة وسرعة خلال السبع سنوات الأولى من حياته ، ثم تركيب جمل ذات دلالة يحاكي بها من حوله في بيئته ، ويعبر بها عما يدور حوله .

فالصراخ العفوي كان تعبيرا عن حاجاته ، والصراخ المتعمد كان لفتا لانتباه من حوله ، وبعد ذلك عبر باستعمال أصوات متنوعة لاشباع رغباته ، ثم ركّب التراكيب حين نمت حصيلته اللغوية من المفردات في يسر وسهولة .

وبملاحظة التسلسل الزمني للتطور اللغوي عنده ، ومراعاة نموّه اللغوي يتم تعليم الطفل في يسر وسهولة في الدور التوجيهي من المحيطين به ، ومن التعليم المباشر بعد ذلك في تطور المدرسة وتنوعها ، وفقا لقدراته ومتطلبات سني عمره المختلفة .

ومتى توفر ذلك لأطفالنا نجحت العملية التعليمية ، وحصلنا على أطفال أسوياء ، يشبون رجالا أذكياء نجباء .. نافعين لأنفسهم وأمتهم والانسانية .

• وحين قامت الدراسات اللغوية عند الغربيين على أسس علمية ثابتة ، أمكن للعلماء البحث عن عناصر هذه الدراسات في مفاهيم اتفق عليها مثل : المطرد والمنفصل ، والتنظيم للقواعد التي تحدد استعمال اللغة في أصوات وصيغ وأساليب وكذلك تحليل الاشارة اللغوية .

• وأهم ما بحث بالتفصيل في دراساتهم وتردد كثيرا هو : مفهوم الوحدات اللغوية في الفونيم والمورفيم .. على نحو ما فهم علماؤنا نقلا عن العبقري الخليل بن أحمد تفاعيل العروض في بحور الشعر وأوزانها وتقسم التفاعيل إلى وحدات هي الأسباب في خفتها وثقلها والأوتاد في مفروقها ومجموعها ، وفي فواصلها الصغرى والكبرى ـــ فكان من كل ذلك حصرا للأوزان والبحور الشعرية ومعرفة عللها وصحتها ، وما جرى منها حديثا على سنن الأقدمين وما خالفه ، وأخيرا بما استجد من أوزان على سمة ذلك في أوزان بحور مخترعة في الحديث .

• و « الفونيم » يشكل الوحدة الفونولوجية الملائمة التي ينجم عن استبدالها بوحدة أخرى ، في مورفيم معين ما يغير المعنى : فالفونيم (ت) مثلا ، يحتوي على سمة (جهر) ، وهذه السمة تميزه عن فونيم (د) مع اتصافه بسمة (جهر) أيضا ، لكن الغربيين أعطوا ـــ للتفرقة ـــ فونيم (ت) علامة (ـــ) وأعطوا (د) علامة (+) ..

ويعتبر « الفونيم » وسيلة لتحليل « المورفيم » إلى أصغر وحدة صوتية ، ويميز كل عنصر صوتي عن غيره بسمة خاصة .

• بينما (المورفيم) يعتبر وحدة تحليل أساسية

لدراسة اللغة . ويحتوي (المورفيم) كاشارة لغوية على دال ومدلول ، أمكننا من خلالها عدّ محتويات الجملة اللغوية في مورفيمات . ففي هذه الجملة مثلا : (المعلمان ذهبا إلى المدينة) ثمان مورفيمات هي عند التحليل : (ال ــ معلم ــ علامة التثنية ــ ذهب ــ الضمير ــ إلى ــ ال ــ مدينة) ..

وتجدر الاشارة إلى أن الغرب الآن يستعمل ذلك في تعليم لغته للمبتدئين في الكنيسة والمدرسة والجامعة على أسس علمية ، ويثبت ذلك في كتب اللغة للمبتدئين ، نشرا للغتهم ، وإتماما للفائدة من العلوم الحديثة ووسائل التكنولوجيا .

فمتى تحظى لغتنا ببعض هذا .. أقول : فمتى تحظى لغتنا بذلك ؟

والمؤسف .. والمؤلم : أن يسخر بعض من نسميهم جامعيين من لون الدراسة هذا ..

• ويدرس الغرب اليوم بكل وسائل التقنية أصوات اللغة على ضوء علمي « الفونيتيكا » و « الفنولوجيا » .. وهذان العلمان متكاملان : « فالفونولوجيا » تطلق على مجموعة الدراسات التي تعالج أصوات اللغة وكيفية النطق بها ، وطبيعتها « الفيزيائية » .

• بينما يطلق اسم « الفولولوجيا » على مجموعة الدراسات التي تبحث في تنظيمات « الفونيمات » الخاصة باللغات المعروفة :

فاللغة العربية، واللغة الفرنسية مثلا تحتويان على حرف (ب) ، لكن يهم عالم اللغة أن يبين أن وظيفة الصوت اللغوي في اللغتين مختلف أحدهما عن الآخر إلى حد كبير .

ومن زاوية العلاقات القائمة بين العناصر ضمن التنظيم اللغوي ، تم دراسة الأصوات اللغوية في المجال (الفونولوجي) ..

• ومن أهم ما توصلت دراساتهم اللغوية إليه : المستوى الدلالي للمفردات ، ومن الصعوبة تحديد دلالة المفردة ، لأنها تحتوي أحيانا على معان ذات دلالات كثيرة للفظة الواحدة ، تكون قريبة المدلول أو مختلفة ، أو حتى علاقة تضاد ، ولا يفهم ذلك كله إلا من دراسة الكلمة في السياق الذي تظهر فيه اللفظة .

• ناهيك بما تم عن الترجمة الآلية التي أصبح لها شأن كبير في دنيا الغرب ، وتعتمد على تحليل الآلة للمادة اللغوية في مستوى المفردات والتراكيب والدلالات .

وتعادل هذا التحليل مع تحاليل مماثلة في لغة أخرى يراد النقل بالترجمة منها ، أو إليها .

وأفاد ذلك كثيرا في دنيا العلوم ، التي تتطلب سرعة في تبادل المعلومات ، وبخاصة التي لا تتحمل طبيعتها الركون والثبات كالأدب مثلا .

ونحن بحاجة إلى ذلك ــ لا شك في هذا ــ فما زالت قواميسنا عامرة بذكر الجمل وأوصافه في أكثر من 4000 لفظة ووصف ــ بينما ستنقرض سيارة فورد .. ونحن نلهج بأسماء أجزائها ، وليست فقط قطع غيارها كما نطقها أصحاب السيارة وصانعوها .

*****

هذا قليل من كثير من المسائل التي عني الغرب ببحثها ، ولاقت في الجامعات النظرية إكبارا وإعجابا وعناية بدراستها والاستفادة منها .

وبقي في هذا البحث أن نشير إلى بعض الروّاد اللغويين المحدثين ، لتاريخهم وبيئتهم ، ونشأتهم ، والمناصب التي تولوها ، والعوامل التي أعانت على نجاحهم ، والآراء التي بحثوها وأتموها أو أتمها من بعدهم ، أو فتحت المجال لمن بعدهم في

تعديل أو إضافة .. وكيف كانت عنايتهم بتأسيس النوادي اللغوية لاجتماعاتهم ، وإصدارهم لمجلات متخصصة وكتب تنشر وتعبر عن مبادئهم وآرائهم ..

كل ذلك في إشارة يتطلبها البحث والمقال والمقام ..

وآمل أن أقوم بدراسة عن الأعلام من علماء اللغة عندنا ، إشادة بجهدهم .. وإشارة إلى فضلهم بحول الله وقوته .. ويسألونك متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريبا .

*****

1) ادوار سابير :

ولد في عام 1848 م ، وتلقى علومه في جامعة « كولومبيا » بمدينة نيويورك .. وتخصص في اللغة الألمانية . وأظهر اهتماما بالغا بالدراسات (الهندوأوروبية) .. وقام بدراسات تناولت اللغة (الأميركو ــ هندية) . حاز على الدكتوراه في حقل الأنثروبولوجيا سنة 1909 م . وعين مديرا لقسم الأنثروبولوجيا في المتحف الوطني الكندي ، في أوتاوا حيث تابع أبحاثه في مجال اللغات الأميركو ــ هندية . درّس الأنثروبولوجيا في جامعة « شيكاغو » في الفترة ما بين 1925 و 1932 م . ومن ثم انتقل إلى جامعة « يال » ودرّس فيها حتى توفي سنة 1936 .

يعتبر « سابير » من الألسنيين الأوائل الذين ساهموا في نشأة الألسنية . وأهم القضايا التي تناولها بالبحث هي :ــ

1) المفاهيم البنيانية عند سابير .

2) المستوى (المورفو ــ فونولوجي) ..

3) اللغة مكوّن من مكونات الثقافة ..

4) فرضية ورف ــ سابير ..

2) فرديناند دي سوسور :

ولد « دي سوسور » في جنيف (عام 1857) من عائلة عريقة ، فيها كثير من العلماء . نشر في سنة 1879 رسالة عنوانها « رسالة في التنظيم البدائي للمصوّتات في اللغات الهندو ــ أوروبية » ..

في سنة 1880 حصل على درجة الدكتوراه بعد أن تقدم بأطروحته التي تناولت اللغة (السنسكريتية) .. وفي سنة 1881 درس في معهد الدروس العليا في باريس ، لمدة عشر سنوات نشر خلالها أبحاثا عدة .

عاد « دي سوسور » إلى بلده جنيف سنة 1891 حيث مارس التعليم في جامعتها ودرّس مادة الدراسات اللغوية المقارنة . إلا أن اهتماماته بقضايا اللغة ، بصورة عامة ، بدا ظاهرا إلى حد كبير في محاضراته . وقام بسلسلة محاضرات في الألسنية العامة سنة 1906 ــ 1911 وهذه المحاضرات هي كتاب « دروس في الألسنية العامة » بعدئذ ، وتوفي عام 1913 م .

ويعود الفضل الأول لـ « دي سوسور » في إرساء أسس الألسنية على دعائم علمية ثابتة ، عندما أشار إلى أن الألسنية تهدف ، بصورة أساسية إلى دراسة عمل اللغة وليس دراسة تطورها . ولا يجب أن نفهم من ذلك أنه قد حط من شأن الدراسات اللغوية التاريخية إلا أنه ــ في الواقع ــ اعتبرها ثانوية بالنسبة إلى الدراسة الألسنية الوصفية التي دعا بصورة واضحة إلى إقرارها .

ونعرض بصورة موجزة المبادىء الأساسية التي نجدها في تعاليم « دي سوسور » ، والتي كان لها الأثر البناء في نشوء الألسنية ، منها :

1) اللغة مادة البحث الألسني .

2) بعد الألسنية الداخلي وبعد الألسنية الخارجي .
3) الدراسة التاريخية والدراسة الوصفية .
4) اللغة والكلام .
5) اللغة تنظيم من الاشارات المغايرة .
6) سياق اللغة الخطي .
7) الخط الاستبدالي والخط الركني .
8) السيميولوجيا .

*****

3) ليونرد بلومفيلد :

ولد « بلومفيلد » عام 1887 م وتلقى علومه الجامعية في جامعة «هارفارد» .. وانصرف إلى التخصص في اللغة الألمانية . ونال الدكتوراه في هذا المجال . علّم اللغة الألمانية والألسنية العامة . وانصب اهتمامه على القيام بالأبحاث الألسنية . وتركزت أبحاثه الأولى حول قضايا الألسنية التاريخية . إلا أن اهتماماته سرعان ما اتخذت المنحى الألسني البنياني . وفي هذا الاطار ، أصدر سنة 1914 كتابا « مدخل إلى اللغة » فانتشر في الولايات المتحدة الأميركية إذ كون المرجع الأساسي لدراسة اللغة آنذاك .

وشارك « بلومفيلد » في تأسيس جمعية الألسنية الأميركية سنة 1924 وساهم في الكتابة في مجلتها « اللغة » وقد كان لاهتماماته بدراسة اللغة الأميركو ــ هندية ، أثرها في تحديد اتجاهه الألسني الحديث .

وتجدر الاشارة إلى أن التقاءه بأستاذ علم النفس « ويس » سنة 1921 ، هو الذي حمله على إعادة النظر في أسس مبادئه الالسنية انسجاما مع النظرية السلوكية في علم النفس.

عمل «بلومفيلد» في إطار تطبيق الأساليب الالسنية الحديثة على طرائق تعليم اللغات ، وساهم في وضع برنامج الدراسة اللغوية المكثفة وفي إعداد المعلمين .. وتوفي عام 1949 م .

وساهم «بلومفيلد» في وضع نظام متماسك يحتوي على مبادىء لوصف اللغات ، بصورة عامة . ومع أن نظام المبادىء هذا قد تخطاه التطور الألسني الحالي إلا أنه لا بد من أن نعرض بعض أسسه التي كان لها الأثر الواضح ، في مجال التطور الألسني اللاحق :

1) ارتباط الصوت اللغوي بالدلالة .
2) الأشكال اللغويـة .
3) المؤلفات المباشـرة .
4) النظرية اللغوية الآليـة .

*****

4) نيقولاي تروبتسكوي :

ولد «تروبتسكوي» عام 1890 من عائلة عريقة تنتمي إلى أمراء روسيا ، وكان والده عميد جامعة موسكو ، وانكب على الدراسات اللغوية منذ أن كان في السنة الخامسة عشرة من عمره ، إذ أوكل إليه التدريس في جامعة موسكو سنة 1905 وانتقل إلى فيينا سنة 1922 حيث درّس في جامعتها (فقه اللغات السلافية والأدب الروسي) وتوفي هناك سنة 1938 .

يعتبر « تروبتسكوي» مؤسس علم الفونولوجيا : ففي مؤتمر الألسنية العالمي الأول الذي انعقد في مدينة «لاهاي» سنة 1928 تقدم بالاشتراك مع «جاكبسون» ببرنامج واضح للدراسة الفونولوجية وأصدر سنة 1939 كتابه « مبادىء الفونولوجيا » الذي ترجم إلى الفرنسية سنة 1949 م .

وتندرج أفكار «تروبتسكوي» في إطار المفهوم الوظيفي الذي قال به « نادي براغ الألسني » فينظر إلى اللغة من حيث هي تنظيم وظيفي : أي تنظيم قائم على الوسائل التعبيرية المستعملة ، بهدف إقرار غاية معينة .

وتشمل دراسته مجمل المستويات اللغوية : الفونولوجية والصرفية والمعجمية .

ونعرض هنا المبادىء الأساسية التي يعتمدها «تروبتسكوي» في مجال الدراسة الألسنية :

1) الفونتيكا والفونولوجيا .
2) الوظيفة التمييزية .
3) التحقيق في الفونامات .
4) تحديد الفونام .

*****

5) رومان جاكبسون :

ولد «جاكبسون» عام 1896 ودرس في جامعة موسكو القواعد المقارنة وفقه اللغة السلافية .

وأسس سنة 1915 مع بعض الطلاب « نادي موسكو الألسني » وساهم في وضع بعض النظريات الأدبية الحديثة .

وتوجه سنة 1920 م إلى براغ حيث شارك في وضع أسس الفونولوجيا البنيانية وأصدر سنة 1921 دراسات تناولت الشعر الروسي الحديث . وقام بعدة دراسات حول الأوزان الشعرية التشيكية والروسية .

وشغل منصب نائب رئيس براغ الألسني) سنة 1938، وسنة 1941، سافر إلى الولايات المتحدة حيث درّس في « معهد الدراسات العليا » في نيويورك في الفترة (42 ــ 1946).

ودرس أيضا في جامعة « كولومبيا » من سنة 1943 حتى 1949. وفي جامعة « هارفارد » من سنة 1949 حتى سنة 1957 وهو يدرس حاليا الألسنية العامة والألسنية السلافية في « معهد ماسشيوست التكنولوجي »..

ونتاج «جاكبسون» وكتاباته متنوعة ، تناولت موضيع الفونولوجيا بصفته أحد مؤسسي « نادي براغ الألسني »...

وتوالت دراساته في مجال الدلالات والتراكيب ، كما اهتم بالدراسات الأدبية وبلغة المعاقين والأطفال .

نكتفي بذكر بعض المبادىء الأساسية التي كان «لجاكبسون» الفضل في وضعها والمساهمة في انتشارها :

1) السمات السمعية في مجال الفونولوجيا ..
2) السمات الكلية فى مجال الفونولوجيا ..
3) السيكو ــ ألسنية .
4) وظائف اللغة ..

*****

6) لويس يلمسلف :

ولد «يلمسلف» عام 1899 ونشأ في عائلة تهتم بالدراسات العلمية ــ فقد كان والده رئيس جامعة كوبنهاجن ، فالتحق بها سنة 1916 وانصرف إلى دراسة مؤلفات اللغوي الدانمركي «راسك» (1787 ــ 1832) أحد مؤسسي القواعد المقارنة . وبدأ أبحاثه في إطار الدراسات البلطقية ونال درجة الدكتوراه سنة 1932 م عن « دراسات بلطيقية » وقبلها أمضى وقتا في فرنسا اتصل خلالها باللغويين « مايه » و « فاندريس » بين سنتي 1926 و 1927 وتعرف خلال هذه الفترة على مبادىء « دي سوسور » التي باتت المنطلق لنظريته الألسنية البنيانية ، والتي هي تعتبر كنظام من القضايا الأولى التي تندرج ضمنها مفاهيم «دي سوسور» الأساسية عبر منهجية استنباطية دقيقة .

ويعتبر «يلمسلف» من الألسنيين الأوائل الذين اهتموا بصورة جدية بالمنطق الرياضي وبالمنهجية العلمية . ولعل اهتمامه هذا عائد إلى أنه توخى وضع نظرية ألسنية كلية . وقد ساعده في هدفه هذا إلمامه الكبير باللغات حديثها وقديمها . وقد توفي عام 1965 م .

والقضايا التي كانت في رأس اهتمامات «يلمسلف» العلمية في خطوط عريضة هي :

1) اللغة موضوع الدراسة الألسنية .
2) منهجية الدراسة الألسنية .
3) مستويا التعبير والمحتوى .
4) الاشارة والرموز .
5) النظرية اللغوية .

*****

7) أندريه مارتينه :

ولد « مارتينه » سنة 1908 في مقاطعة السافوا في فرنسا وتخصص في اللغة الألمانية ويشغل حاليا منصب مدير الدراسات الألسنية في « معهد الدروس العليا » في باريس كما يدرس — بصفته أستاذا — في السوربون منذ سنة 1960 .

شارك في أعمال « نادي براغ الألسني » قبل أن يدرس في جامعة الدانمرك ، وبعدها في جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة . وهو منذسنة 1948 أحد مديري المجلة الألسنية النيويوركية «الكلمة» وله مؤلفات عديدة في علم الفونولوجيا وفي الألسنية العامة .

ونعرض بعض المفاهيم الأساسية التي تكون محور آراء «مارتينه» الألسنية في خطوط عريضة :

1) وظيفة اللغة .
2) التلفظ المزدوج .
3) المبادىء الوظيفية للدراسة الألسنية .
4) مفهوم الملاءمة .
5) الاقتصاد اللغوي في مجال التطور اللغوي .

8) زلينغ هاريز :

ولد في عام 1909 م .. وتلقى علومه في جامعة بنسيلفانيا في الولايات المتحدة الأميركية .

وقد نال درجة الدكتوراه ، على إثر تقدمه بأطروحة تناولت قواعد اللغة الفينيقية .

يدرّس حاليا في جامعة بنسيلفانيا ، منذ سنة 1942 .

وزع اهتماماته الألسنية بين اللغات السامية وبين اللغات (الأميركو — هندية) واهتماماته بهذه اللغات المتنوعة ، مردها إلى اهتمامات الألسنية نظرية ، بمعنى أنه يحاول استخراج عناصر الوصف الألسني ، ضمن إطار المنهجية البنيانية الحديثة ، عبر تحليله لهذه اللغات .

ونلاحظ — في هذا المضمار — أنه يطبق منهجيته الوصفية على لغات متنوعة وكثيرة .

ونكتفي هنا بعرض بعض النواحي التالية من منهجية «هاريز» :

1) مستويات الدراسة الألسنية .
2) التعامل مع النصوص اللغوية .
3) مفهوم التحويل .

*****

9) نوام تشومسكي :

ولد «تشومسكي» سنة 1928 في مدينة (فيلادلفيا) في الولايات المتحدة الأميركية، وتابع دراسته الجامعية في جامعة بنسلفانيا في مجالات الألسنية والرياضيات والفلسفة . ونال الدكتوراه من هذه الجامعة .

وعلّم في جامعة « هارفارد » ، في الفترة ما بين الأعوام : 1950 — 1955 ويعلم حاليا في معهد مسشيوست التقني .

اشتهر «تشومسكي» بادىء الأمر في مجال الألسنية ، إلا أن شهرته لم تقتصر على هذا المجال العلمي ، بل تعدته إلى مجال الكتابة السياسية .

يعتبر « تشومسكي» مؤسس النظرية التوليدية والتحويلية التي هي حاليا أكثر النظريات

الألسنية انتشارا ليس فقط في الجامعات الأميركية إنما أيضا في الجامعات الأوربية .

نتناول هنا بعض المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها هذه النظرية :

1) الكفاية اللغوية والأداء الكلامي .
2) مقدرة الانسان الفطرية ومراحل اكتساب اللغة عند الطفل .
3) الكليات اللغوية وتنوع اللغات .
4) انتقاد المذاهب السلوكية .
5) العودة إلى الأصول العقلانية .
6) البنية العميقة والبنية السطحية .
7) تخطي الألسنية البنيانية .

*****

10) ولهالم فان همبولد :

ولد «همبولد» سنة 1767 م من عائلة بروسية نبيلة في مدينة «بوتسدم» ، وشارك في الجلسات التي كانت تعقد في منزل «هنريات هرز» حيث التقى بالنخبة المثقفة من برلين .

التحق سنة 1787 في جامعة «فرانكفورت» للتخصص بالمحاماة إلا أنه انصرف إلى دراسة فقه اللغة سنة 1788 .

وتعرف في سنة 1789 على الشاعر الألماني «شيلر» ووطد علاقته به وبالشاعر «جوته» .

وقدم إلى باريس سنة 1797 حيث أمضى بها سنتين تقريبا .

ثم أقام في مقاطعة «الباسك» في جنوب فرنسا بين عامي 1800 و 1801 م وذلك بغية الاطلاع على لغتها . وكان لدراسة هذه اللغة أهمية كبرى في مجرى تفكيره اللغوي .

وشغل مناصب سياسية هامة بعد ذلك ، لم تصرفه عن غرامه اللغوي :

فقد عين سفيرا بروسيا لدى الكرسي البابوي .

وأوفد إلى مؤتمرات فيينا (1813 ــ 1815) وزيرا مفوضا .

ثم عين سفيرا في لندن .. وهناك التقى بالألسني «بوب» .

وعمل مديرا للتعليم بعد ذلك . ثم أسس جامعة برلين سنة 1810 .

وأصبح وزير المقاطعات والتعاونيات سنة 1819 .

استقال من منصبه هذا في نفس السنة .

وفي سنة 1820 اعتزل في قصره حيث أمضى بقية حياته في الدراسة والتأليف إلى أن توفي سنة 1935 م .

درس «همبولد» ما عدا اللغات الكلاسيكية ، لغات الهنود الحمر في أمريكا الشمالية واللغة السنسكريتية ، والصينية ، والمجرية ، والتترية ، بالاضافة إلى اللغات السامية ، واللغة اليابانية ، والبرمانية ، ولغة كاوى المنتشرة في جزيرة «جاوا» ..

ونعرض هنا إلى أهم الآراء والأبحاث التي عرف وقام بها :

1) وصف « جهاز اللغة العضوي » .
2) اللغة ملكة فطرية خاصة بالانسان .
3) المصطلحات الألسنية .

*****

11) فرانز بوب :

ولد «بوب» في مدينة «ماينز» في ألمانيا سنة 1791 م .

وتلقى دروسه على يد الفيلسوف الألماني «ويندشمان» ..

أقام في باريس من سنة 1812 حتى سنة 1816 حيث استمع إلى دروس المستشرق «سيلفستر

دي ساسي» وتعلم العربية، والعبرية، والفارسية، وكذلك السنسكريتية .

وفي باريس كتب «بوب» رسالته « في تنظيم تصريف اللغة السنسكريتية ، ومقارنته بالتنظيمات الصرفية المعروفة في اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية » .

وسافر إلى لندن حيث أقام هناك في الفترة من سنة 1816 إلى 1820 وهناك التقى بالعالم «همبولد» حيث أسند إليه تعليم السنسكريتية في جامعة برلين .

وفي الفترة من عام 1833 حتى 1852 نشر قواعد مقارنة للغات الآتية : السنسكريتية ، والأرمنية ، واليونانية ، واللاتينية ، والسيلافية القديمة ، والفوتية والألمانية ، وتوفي سنة 1867 م .

*****

12) يان بودوان دي كورتناي :

ولد «بودوان دي كورتناي» في بولونيا سنة 1845 . درس في مدينة كازان وكراكوفيا وبترسبورج ، مدة ثمانية عشر عاما من سنة 1900 ــ 1918 م . ويعتبر «بودوان دي كورتناي» رائدا في مجال الألسنية : إذ كان له الفضل في إرساء أسسها ، إلا أنه لم يؤثر مباشرة في نشأة الألسنية البنيانية ، لأنه لم يضع نظرية كاملة ومتماسكة ، كتلك التي نجدها عند «دي سوسور» ولأن أفكاره وآراءه مبعثرة في أكثر من 640 مقالا لغويا .

وسنتناول بصورة موجزة بعض المفاهيم الألسنية التي قال بها وحاول ارساء دعائمها :

1) الفونام .

2) التمييز بين اللغة كنظام وبين اللغة كمسار متكرر .

3) التمييز بين ديناميكية اللغة وبين واقعها الحالي .

4) التمييز بين اللغة المحكية واللغة المكتوبة .

5) الألسنية دراسة علمية .

13) أوتوجاسبرسن (1860 ــ 1943)

التحق «جاسبرسن» بقسم الحقوق في جامعة كوبنهاجن تمشيا مع تقاليد عائلته ، إلا أنه اهتم خلال دراسته الجامعية باللغات (الهندو ــ أوروبية) وتأثر بنظرية « داروين » في النشوء والارتقاء ، وبفلاسفة فرنسا في القرن الثامن عشر . ثم قام بجولة دراسية في أوروبا ، في الفترة من : 1888 ــ 1891 م بهدف التعمق في الدراسات اللغوية .

وركز «جاسبرسن» في مؤلفاته اللغوية على المبدأين التاليين :

1) العلاقة الوثيقة بين الصوت والدلالة .

2) والتطور اللغوي .

*****

14) شارلي بالي (1865 ــ 1947) :

درس «بالي» فقه اللغة اليونانية ، ثم انصرف إلى دراسة السنسكريتية ، بعد أن التقى بالعالم اللغوي « دي سوسور » وتبنى آراءه المتطورة في مجال الألسنية .

وقام سنة 1916 بنشر كتاب «دي سوسور» : « دروس في الألسنية العامة » بمساعدة زميله الألسني «سشهاي» وقام بعد أستاذه «دي سوسور» بتدريس القواعد المقارنة في جامعة جنيف .

*****

15) أنطوان مايه (1866 ــ 1936) :

التحق «مايه» سنة 1886 « بمعهد الدراسات العليا » في باريس حيث استمع إلى دروس «دي سوسور» حل محله بعدئذ ــ في تدريس الألسنية سنة (1891).

وصب جل اهتمامه على دراسة اللغات

الهندو ــ أوروبية الشرقية ، وسافر إلى أرمينيا سنة 1890 م في رحلة علمية ــ كما ساهم بصورة أساسية في تحضير أول مؤتمر عالمي للألسنية في لاهاي سنة 1928 .

oooooo

16) غوستاف غيوم (1883 ــ 1960) :

ولد «غيوم» في باريس سنة 1883 م . فقد والده وهو في الثالثة من عمره .. والتقى سنة 1907، مع «انطوان مايه» الذي كان يدرس القواعد المقارنة في الكلية الفرنسية .

ثم علم في معهد الدراسات العليا من سنة 1938 حتى سنة 1960 .

والله الهادي إلى سواء السبيـــل ،،،

المـراجـــع :

استفدت في هذه الدراسة
من كتب وأبحاث الأساتذة الدكاترة

1) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، نايف خرما ــ سلسلة عالم المعرفة (9) الكويت 1978 م .

2) نظريات في اللغة ــ أنيس فريحة ــ دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1972 م .

3) الألسنية العربية (ريمون طحان) دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1972 م ..

4) الألسنية (علم اللغة الحديث) ميشال زكريا ــ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر سنة 1983 م .

5) مذكرات جامعية في الأصوات ــ كمال محمد بشر ــ على الاستنسل .

6) علم اللغة العام ــ كمال بشر ــ دار المعارف ــ 1973 م ..

7) في علم اللغة العام ــ عبد الصبور شاهين ــ ط 1397 هـ .

8) علم اللغة العام ــ توفيق محمد شاهين ــ ط مكتبة وهبه بالقاهرة سنة 1980 م .

9) منهج البحث في اللغة والأدب (مانسون وماينيه) ترجمة محمد مندور ، القاهرة .

10) الوجيز في فقه اللغة ــ محمد الأنطاكي ــ ط الشهباء حلب سنة 1389 هـ .

11) اللغة ــ ج : فندريس ، تعريب : الدواخلي والقصاص ط القاهرة سنة 1950 .

12) **دوريات :**

المجلة التربوية ــ المركز التربوي للبحوث والانماء ــ بيروت عدد / 2 سنة 1979 م والعدد الثاني سنة 1978 م ــ ومجلة الفكر العربي ، عدد 8 و 9 سنة 1979 م من مقال للأستاذ رشيد الضعيف ، بعنوان : « نسق الصوائب في إحدى اللهجات العربية » .. ومجلات ودوريات سيارة .